(لَقَد كَانَ في قَصَصِهِم عِبرةٌ لأُولي الأَلبَابِ . مَا كَانَ حَديثاً يُفتَرَى وَلَكِن تصديقَ الذي بَينَ يدَيهِ وتفصِيلَ كُلِّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحمَةً لِقَومٍ يُؤمِنونَ)

قصص الأنبياء للصغار

[قصة نوح]
عليه الصلاة والسلام

كتبها
علي بن سالم بن يعقوب باوزير
عفا الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

(قصة نوح عليه الصلاة والسلام)

- ظلَّ الناس بعد آدم عليه الصّلاة والسّلام عشرة قرون على النهج القويم ، والصراط المستقيم ، صراط الإسلام ، ونهج التوحيد .

- وكان نوح عليه السلام من قوم يقال لهم : (بنو راسب) يسكنون أرض (بابل) في العراق ، وكانوا على جانب كبير من التقوى والعبادة ، وظهر فيهم خمسة رجال اشتهروا بالصلاح والقسط بين الناس ، حتى نالوا محبة جميع الناس واحترامهم ، وهم : ودّ ، وسواعٌ ، ويغوثُ ، ويعوقُ ، ونسرٌ .

- فلما ماتوا جزع الناس لموتهم ، وحزنوا حزنا شديدا لفقدهم ، فجاءهم الشيطان وزين لهم أن يصنعوا لهم تماثيل على صُوَرِهم ينحتونها من حجارة أو أخشاب ونحوها ، ويسمونها بأسمائهم ، عنوانا على محبتهم ، ورغبة في تذكر مجالسهم ووعظهم ، ليتشوقوا بها إلى العبادة ، فاستحسنوا ذلك وفعلوه ، ولم تُعبد أول الأمر، حتى إذا هلك أولئك القوم ، وخلفهم آخرون ، ونُسِي العلمُ دَبَّ إليهم إبليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر ، فعبدوهم من دون الله تعالى .

- فأرسل الله نوحا إلى قومه ، وهو أول رسول إلى أهل الأرض ، وكان ذا شرف ومكانة عظيمة في قومه ، فجعل يعظهم ويذكرهم ، ويدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وينهاهم عن عبادة الأصنام .

- لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، اجتهد خلال هذه المدة في دعوتهم ليلا ونهارا ، سرا وجهارا ، تارة بالترغيب وأخرى بالترهيب ، ولكنهم كذبوه واستكبروا استكبارا ، ولم يزدهم دعاؤه إلا فرارا وإصرارا ، (ومكروا مكرا كبارا . وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ وَدًّا ولا سُواعًا ولا يَغوث ويَعوق ونَسرا) .

- رغَّب نوح قومه في الاستغفار والتوبة من عبادة غير الله، ووعدهم بخيري الدنيا والآخرة فقال لهم : (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً) .

- استمر نوح في دعوة قومه ونوَّع لهم الأساليب مرة بعد مرة ، فقابلوه بالسخرية والاستهزاء ، وتنقصوه وتنقصوا من آمن به ، وقالوا : (إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين) ، وقالوا : (إنا لنراك في ضلال مبين) ، (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا ، وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي، وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) .

- ثم لانوا له بعض الشيء فطلبوا منه أن يطرد من آمن به ــ لأن غالبهم من الضعفاء ــ لعلهم يجلسون إليه ويسمعون له ، فرد عليهم بقوله : (وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون . ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون) ، فلما يئسوا منه توعدوه بالرجم بالحجارة ، وإخراجه من بلاده ، فقالوا : (لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين) ، (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا) ، وقال : (كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم . وهمّت كل أمة برسولهم ليأخذوه) أي بالقتل أو التعذيب .

- لم يكترث نوح بتهديدهم ، واستمر في دعوته وجداله لهم بالتي هي أحسن ، وقال لهم: (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أي إن لم تتركوا ما أنتم عليه من عبادة الأصنام (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين). فأوحى الله (إِلَى نُوح أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا مَنْ قَدْ آمَنَ فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) ، ولم يؤمن لنوح من قومه إلا قليل ، قيل : ثمانون ، وقيل غير ذلك .

- فلما يئس نوح من أن يؤمن به أحد من قومه غير من آمن دعا ربه (أنى مغلوب فانتصر) ، و(قال رب انصرني بما كذبون) ، وقال : (ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) .

- فأمره الله أن يصنع السفينة بمرأى منه ، وتعليم منه بكيفية صنعها ، ونهاه أن تأخذه رقة ورأفة على قومه إذا نزل بهم العذاب ، فيشفع لهم في صرف العذاب أو تخفيفه عنهم ؛ لأنه قد قضى بإهلاكهم واستئصالهم بالطوفان العظيم ، قال تعالى : (ويصنع الفلك وكلما مرَّ عليه ملأ من قومه سخروا منه) ؛ لأنه كان يصنعها في البر حيث لا ماء ، فرد عليهم بقوله : (إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون . فسوف تعلمون من يأتيه عذاب

يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) ، وأمَرَه الله أن يحمل في السفينة من كلٍ زوجين اثنين ، ويحمل معه من آمن به ، وأهله إلا من كفر منهم .

- جعل الله لنوح علامة على مجيء الطوفان وهي نبع الماء من التنور ، قال تعالى : (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) أي اثنين من كل ذكر وأنثى من سائر أنواع الحيوانات (وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن ، وما آمن معه إلا قليل . وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها إن ربى لغفور رحيم) .

- كان لنوح زوجتان : آمنت إحداهما وكفرت الأخرى ، وكان له أربعة أبناء : آمن منهم ثلاثة ، وكفر واحد ، فناداه نوح ليركب معهم في السفينة ، فأبى وظن أن الجبل سيحميه من الطوفان ، قال تعالى : (وهى تجرى بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء . قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم . وحال بينهما الموج فكان من المغرقين . وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي . وغيض الماء وقضى الأمر . واستوت) أي رست السفينة واستقرت (على الجودي) وهو جبل بالجزيرة (وقيل بعدا للقوم الظالمين) .

- فأغرق الله بالطوفان الأرض جميعا ، فأخذت نوحا شفقة الأبوة (ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوح إنه ليس من أهلك) أي الموعودين بنجاتهم ؛ لأنه قال له قبل ذلك : (وأهلك إلا من سبق عليه القول) وكان ابنه ممن سبق عليه القول أنه يموت كافرا ، ولهذا قال هنا : (إنه عمل غير صالح . فلا تسألن ما ليس لك به علم . إني أعظك أن تكون من الجاهلين . قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم . وإلا تغفر لي وترحمني أ كن من الخاسرين . قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أممٍ ممن معك . وأممٌ سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم) .

- فأهلك الله مَن كان على الأرض ، ولم ينجُ إلا نوح ومن كان معه في السفينة ، وجعل الله ذرية نوح هم الباقين دون غيرهم .

(تمت بفضل الله)